حزيران .. متى ينتهي النزيف ؟!

بقلم: فلسطينيا الحلو

● ويشرق صباح ذلك اليوم . أضيق ذرعاً بالكلمات التي قيلت وبالاغاني التي أنشدت . رائحة الربيع المبكر تتبرم بقدومه بيد أن الاجراس التي تؤذن بقرب ذلك اليوم لا تبقي مجالا للتمتع بجمال طبيعة السهوب المخضوضرة لأنه يحمل في ثناياه .. الحزن والثكل والغبن اللامحدود !

«وهأنذا هنا ، الخامس من حزيران للمرة السادسة عشرة ، أشكو الانسانية وأقرع على ابواب ضميرها وأخاطب غفلاتها ، أتقطر دماً ودموعاً ، محاطاً بالمعاناة والبطولة أسائل حتى مَ ؟ » ..

لقد قبل عليّ في هيئة عجوز متقدم في السّن . متكيء على عكّاز . ينعدم البريق في عينيه . مشوّش الرؤية . إنه صغير ومنكمش . ظهره محدودب . ويدل يده اليمنى يد كم فارغ من جلبابه الأسود مشبوك بدبوس .

لم يُقبل عليّ لشأن يخصّه . وبدا الشبان الذين رافقوه مضطربين قليلاً لأن العجوز لم يستطع أن يعبر عن نفسه كما يجب وهو ، بشكل عام ، في نظرهم شائخ وساذج كما يليق بالذي وُلد في مطلع القرن .

طلبت ان اسمع حكايته منه بدون مساعدة مرافقيه الشبان . انبرى يحكي بصوت مبحوح وبنبرات متقطعة ان له ولدين في مخيم عين الحلوة في لبنان . وهما متزوجان وأبوان لأطفال .

– انهما يقطنان هناك ، يقول . وتفتر شفاه الشبان عن بسمة مريرة ويصححونه بأن السكن هناك مستحيل الآن لأن المخيم قد تهدّم .

حالاً تتراءى امامي مشاهد اكوام الخرائب والاطفال المتراكضين بين الركام والشيخ العجوز الباحث عن ميزان ، مشاهد بثها التلفزيون في ارجاء منازلنا بعد أن شاهدها العالم كله ولم يعد إخفاؤها ممكناً .

– «ولداي في معتقل انصار لدى اليهود» – يتابع العجوز راغباً في ان يعرف ماذا حصل لهما ؟! ويتدخل احد الشبان ليقول انه سمع ان الجيش الاسرائيلي سلّم احد الولدين للرائد سعد حداد او لرجاله وانهم قتلوه .. يقول هذه الكلمات بصوت هادىء وبشكل جاف كأن الحديث يدور حول أمر عاديّ . فأحتج بدوري مستبعدة مثل هذا الأمر الفظيع . فيجيبني بكلمة «إن شاء الله» ، شاحباً ومتهرماً . التسليم بواقع التضحية والموت يثير بي القشعريرة .

عيون العجوز الباهتة تحدق بي . لا اعرف ماذا ترى . الكُمّ الفارغ المشبوك بدبوس لا يبعث بي الارتياح فأسأله عن مصدر عاهته .

– «منكم . من اليهود . عندما جئتم إلينا في حزيران ١٩٦٧ . كان الصيف آنذاك ، حاراً . وكان من عادتنا ، نحن الفلاحين ، أن نسكن في عرائش في الحقل إبان فلاحة الاراضي حتى نكون قريبين منها . في احدى الليالي سمعت ، خلال نومي ، اصواتاً اشبه بالفحيح اعتقدت انها صادرة عن افاعٍ . فذلك أمر يعجز حتى اليوم . وفي صباح الغد الباكر سمعت صوت اطلاق رصاص . اطلقوا الرصاص على عريشتي وكنت جالساً بداخلها أصلي لله . وبعد ذلك تسلق احدهم على العريشة ورآني في داخلها

توسلت اليه ألا يطلق الرصاص عليّ وأكدت له ان ليس لدي سلاح ولن أؤذي شخصاً . لكنه لم يصغ إليّ واطلق الرصاص عليّ . اخترقت إحدى الرصاصات ذراعي واعتقدت بأنني متّ . وتناول هذا الجندي سكيناً كانت بحوزته وغرسها في ذراعي . أراد ان يفحص فيما اذا كنت على قيد الحياة بعد . وعقب ذلك رفع قدميّ وصاح في زملائه : «مات العربي» . اعتقدت ان ذلك حصل ولكن رغم ذلك لم أمت . وجاء رجال القرية وأخذوني الى المستشفى . لكن اليد كانت مثل الخرقة وبترها الاطباء . هذه هي القصة بكاملها ولكن ذلك غير مهم حالياً . اطلب منك لوجه الله واتوسل اليه ان يحفظ اولادك ان تهتمي بولديّ . ولا تدعي اليهود يخربون بيتي هنا ، هل تفهمين ؟! قالوا لي في القرية انك تساعدين الناس» ..

هم يجرحون ويبترون ، يفجرون ويذبحون ويشرّدون بني البشر لكل الجهات بأحدث الوسائل الشيطانية وأنا واقفة في الركن مع وسائلي البدائية وهي ليست إلا ضمادات .. أفكار عجز كهذه ترهق تفكيري . أطردها بسرعة محمومة لئلا توثق يداي . وأبكي في اعماقي .

اجل في اعماقي . لقد تحسنت مع تعاقب السنين . فبكاء السنوات الاولى كان علنياً وهدد باغراقي في مسارب حزن وألم لا نهاية لها .

وحاولت ، احياناً ، أن اتخلى عن البكاء بوصفه حجر عثرة امام عملي حتى تبين ان لا وجود لي بدونه . وأنني ألا يصبح جلدي كجلد التمساح وان أبقى احس بطعنة السكين التي غرزت في لحم العجوز وبخبطات العصي على اجساد الطلاب وبماء البصقات التي يبصقها المجلاّدون في وجوه الضحايا وبالطعم المرّ لدموع العجوز مبتور اليد الذي يطلب النجدة لولديه .

وفي هذا اليوم عن الشيخ أريد أن اقول كلمة حزينة معذبة . أحدهم مُلقى على الارض المروية بالدم في مخيم شاتيلا . ملايين البشر في العالم شاهدوه من على شاشة التلفزيون . قدماه المنتعلتان حذاءً بالياً . وجسده المُغطّى بقمباز مقلّم . عكّازته بقيت ، مثل اليتيم ، ملقاة بمحاذاة جثته . عينه الواحدة منقورة . إنه يطلي المثالي كما في البرنامج التلفزيوني المعروف ، «حياة كهذه» ، الذي يخصص للشخصيات ذات الأسماء اللامعة .

تزوره شخصيات من الماضي فلا تفاجئه البتة . فهو يذكرهم جيداً . إنهم مذبوحون مثله من دير ياسين وقبية وغزة ونحالين وكفر قاسم .إنهم إخوته القدماء – الجدد من عين الحلوة والرشيدية وبيروت . ومعذبو السنوات الست عشرة في نابلس والخليل ورام الله وغزة والقدس . قوافل من المعذبين والمذبوحين في حياة عجوز فلسطيني واحد

يقول العجوز : صحيح انهم قتلوه وقتلوا أبناءه ولم يتورعوا عن قتل أحفاده لكنهم لم يقتلوا الجميع .. وشمس الشرق الرؤومة والقاسية والجليلة تحضنه بأشعتها جرياً على اساس العادة التقليدية ان يحترم الشبّان الكبار في السن .

أود أن اختتم هذا اليوم برفقة احفاد الشيخ . فيالق من الاحفاد لهذا الشيخ يرسمون شارة النصر «في» امام عابري السبيل باصابعهم الغضة ، بثبات أبائهم وبعزيمة اجدادهم . تلك هي حياة الطفولة المسلوبة التي ولدت للحرية .

وفي قلبي أمنية : أن يكون هذا اليوم يوم بشرى وأن يتزايد في وسطنا الرافضون لاجراءات قمع وقتل أبناء الشعب الذين يحيون على هذا الطراز من الحياة – عن الاتحاد –

لجمهور المهتمين والمختصين ، ادبيا وصحفيا مع الخطوة التي اقدمت على تنظيمها الدائرة الثقافية في كلية العلوم بابوديس مؤخرا ، يؤكد استعداد مثقفي شعبنا للتجاوب مع اي نشاط ثقافي من شانه تنشيط الحركة الادبية او الصحفية المحلية . يؤكد ذلك الحضور الواسع الذي شارك في النقاش والحضور وابداء الملاحظات .

ولعل برنامجا ثقافيا متخصصا ، يهتم بكافة جوانب الحركة الثقافية الفلسطينية ، وتقوم بتنظيمه والدعوة اليه احدى جامعاتنا المحلية ، وبالتحديد قسم اللغة العربية فيها ، يكون ذا فائدة جمة . ومن المؤكد ان طلبة تلك الجامعة سيكونون من اول المستفيدين من هذا البرنامج

ان المقومات الاساسية لمثل هذا البرنامج موجودة . فمن جهة ، تتوفر القاعة الواسعة ، التي بامكانها استيعاب اكبر قدر ممكن من المشاركين والمستمعين . ومن جهة ثانية ، تدخل هذه الفكرة في صميم التربية الثقافية التي تسعى لتحقيقها دائرة اللغة العربية ، خصوصا في مساقات" فن المقالة والبحث الادبي" و"التذوق الادبي" لطلبة السنة الاولى في الجامعة ، وكذلك مساق "الادب الفلسطيني" لطلبة السنة الرابعة .

اما ثالثة الاثافي من المقومات فهي توفر النية الصادقة والاستعداد ، المضي بعض الشيء ، للتخطيط لذلك .

لقد بادرت الكاتبة الفلسطينية "حنان عواد" الى عقد بعض المحاضرات والندوات حول الادب والتراث الفلسطينيين والصحافة المحلية . وبالرغم من عثرات الخطوة الاولى الطبيعية ، الا ان هذه المحاضرات سجلت نجاحا لا بأس به .

وليسمح لي الكاتب الاستاذ ابراهيم العلم والناقد الدكتور قسطندى الشوملي ان اذكر اسميهما في هذا المجال . حيث انهما في قسم اللغة العربية بجامعة بيت لحم قادران على اخراج هذا البرنامج المقترح الى حيز الوجود ، ورفده بماء الحيوية والتأثير ، بجهودهما التي عهدناها على الساحة الادبية المحلية .

– ابو بكسيم –

في ذاكرة التاريخ

٥/٢٠ – ابعاد قبيلة بدوية باكملها من غور الاردن ١٩٦٩

– استشهاد محمود يحيى الكرد . ٥/٢١ – وصول لجنة البراق الدولية والمؤلفة من سويدي وسويسري وهولندي ١٩٣٠

– سقوط قرية بيت دارس "غزة" بيد الاسرائيليين واستشهاد (٢٣) شخصا من اهالي القرية ١٩٤٨

٥/٢٢ – وافق مجلس العموم البريطاني على الكتاب الابيض ١٩٣٩

– ارسل بعض وجهاء نابلس مذكرة الى الحكومة الاردنية يحتجون فيها على اتفاقية رودس ١٩٤٩

٥/٢٣ – اقر مجلس اللوردات البريطاني الكتاب الابيض ١٩٣٩

– ٢٣ و ٥/٢٤ – معركة اللطرون ١٩٤٨

– الاسرائيليون يصلون الى الحدود اللبنانية ١٩٤٨

– سقوط قرية البروة بيد الاسرائيليين ١٩٤٨

– تركت قوات الطوارئ الدولية شرم الشيخ بطلب من عبد الناصر ١٩٦٧

٥/٢٤ – صدور العدد الاول من جريدة كومسومولسكايا برافدا ١٩٢٥

– احتل الجيش المصري مستوطنة يد مردخاى (دير سنيد – غزة) ١٩٤٨

– اعلنت مصر اغلاق مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية ١٩٦٧

٥/٢٥ – استقلال الاردن ١٩٤٦

– تأسيس منظمة الوحدة الافريقية ١٩٦٣

– ذكرى يوم تحرير افريقيا ١٩٦٣

– بداية اسبوع التضامن مع الشعوب في الجنوب الافريقي

– اليوم العالمي للتضامن مع شعب الكاميرون .

٥/٢٦ – ذكرى ميلاد الشاعر الروسي العظيم بوشكين ١٧٩٩

أنشودة الحرية

للشاعر الروسي الكسندر بوشكين

وجهت القيصرية ضربات قاسية الى كافة الشعراء والكتاب التقدميين الذين كانوا يصدرون الام الشعب ومعاناته وكفاحه العادل .

ومما لا يصدق ان القيصر نفسه كان يحارب الشاعر الروسي بوشكين فقد كانت القيصرية تعتبر قصائده مخلة بالامن ومناهضة للاعراف والقوانين . وبالرغم من كل مضايقات القيصر وحكومته ، لم يتخل الشاعر عن شعبه ونضاله وحكومته ، لم يتخل الشاعر عن شعبه ونضاله ضد الاستبداد الاجتماعي والظلم القائم . ويتمثل ذلك في قصيدته الثائرة انشودة الحرية ١٨١٧

اوه يا رفاقي !
حتى ارى العبودية تنتهي
ويتحرر الشعب من انحلاله ؟
متى يبزغ فجر الحرية المشرق
على ارض وطني .
اوه ! يا طغاة العالم ! لترتعش اوصالكم
وانتم ايها العبيد المتساقطون فلتنهضوا .

هكذا كان بوشكين يعبر عن مقاومة شعبه للظلم . يعتبر بوشكين نموذجا للشاعر الروسي وكل شعراء العالم الملتزم الذى عبر عن جيله وعصره اصدق تعبير وطالب مع شعراء عصره ان يحتفظ بطابعه الثورى الديمقراطي كي يخدم بالافكار كافة الشعب .

على صدر بيروت

صدر حديثا ، في الكويت ، لمحمد نوفل العزة مجموعته الشعرية "معلقة العودة – على صدر بيروت" تقع في احدى وخمسين صفحة من الحجم الصغير .

وقد قدم المجموعة عبد العزيز السيد احمد بكلمة جاء فيها :

"فكأنما بيروت ، الصمود والملحمة ، هي البعث والنشور ، امسك به الشاعر في لحظته ، واملاه على صفحة الزمن الاسود الذى نعيش ، ونقشه على صدر بيروت ، او نقشه صدر بيروت على شفاهنا ، ولكن اى نقش بديع ؟" .